الأفعال الكلامية دراسة لغوية فى نماذج من خطب عصر بنى أُمية السياسية

إعداد
إيمان محمد الجمل
(المعيدة بقسم اللغة العربية ـــ كلية البنات)

إشراف

أ.م.د/ يحيى فرغل عبد المحسن
أستاذ علم اللغة المساعد بكلية البنات
جامعة عين شمس.

د/ فاطمة ميزار باتع
مدرس الأدب القديم بكلية البنات
جامعة عين شمس.

مقدمة

إن المتتبع للدراسات اللغوية من مهدها الأول مرورًا بالعصر الحديث ثم المعاصر ، سيجد أن هناك طفرات كثيرة قد حدثت، فمحال أن نجد عالمًا أتى بدراسة أو نظرية استطاع أن يسد بها حاجة الدرس اللغوى من جميع مناحيها، فكل دراسة إنما هى مكملة لسابقتها ومضيفة عليها ، ومن الدراسات التى أعتد بها فى الدرس اللغوى المعاصر (التداولية).

وقد تقدمت التداولية ساحة الدراسات اللغوية؛ لأنها أوجدت حلًا للمسائل اللغوية التى عجزت النظريات الأخرى عن حلها، فاهتمت بالعملية التواصلية والاستعمالات المختلفة والسياقات، والملقي والمتلقي، ويندرج تحت الدرس التداولي عدد لا بأس به من المفاهيم، كالأفعال الكلامية والاستلزام الحواري والافتراض المسبق والإشاريات، وغيرها من المفاهيم الأخرى، ويعد أبرز هذه المفاهيم على الإطلاق مفهوم الأفعال الكلامية؛ إذ يعدالنواة أو البؤرة الرئيسة في كثير من الأعمال التداولية.

وقد تناولت في هذا البحث مقدمة عرضت فيهاالدراسات السابقة، ثم المبحث الأول وهو وعي علماء العرب القدامى بمفهوم الأفعال الكلامية ، وفي المبحث الثاني دراسة مفهوم الأفعال الكلامية في البحث اللغوي الغربي ، ثم المبحث الثالث قمت بعمل دراسة تطبيقية عن طريق تخير مجموعة من الخطب السياسية في العصر الأموي، ثم خاتمة لهذا البحث بها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وتعد الأفعال الكلامية واحدة من أهم مجالات الدرس التداولى، كما أنها تحتل النصيب الأكبر لدى الباحثين الدارسين للتداولية، هذا ويعد أوستين – الفيلسوف الذى اعتنى بدراسة اللغة الطبيعية والذى كان متأثرًا بما جاء به فنجنشتاين- هو مؤسس الأفعال الكلامية، حيث "أنكر أوستين أن تقتصر وظيفة اللغة على وصف وقائع العالم وصفًا يكون إما صادقًا وإما كاذبًا وأطلق عليه المغالطة الوصفية، كأن يقول رجل لامرأته : أنت طالق، فإن النطق بهذا لا ينشئ قولًا، بل يؤدى فعلًا، فهى أفعال كلام، أو هى أفعال كلامية "[١]

ومن العلماء من يعدها نظرية مستقلة. وقد تعددت مسمياتها نقلًا عن الترجمات والدراسات المختلفة، فأحياناً نجدها موسومة (بنظرية الأعمال اللغوية)[٢]، وسميت أيضا (تداولية الدرجة الثالثة)[٣]، ومنهم من سماها (الأفعال الإنجازية)[٤] والأفعال الكلامية على اختلاف مسمياتها في

---

[١] - آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢، ص٢٣.

[٢] - كما ورد ذلك في كتاب/ التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن ريبولو جالك موشلار، ترجمة د/ سيف الدين دغفوس وآخرون، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ٢٠٠٣، ط١، ص٣٣.

[٣] - انظر كتاب/ المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، تر/ سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، ص٦٠.

الكتب والدراسات المتعددة، إلا أنه ليس هناك خلاف على أن الفيلسوف اللغوى البريطانى " أوستين" الرائد الأول للأفعال الكلامية، وإن كان اكتشافه لها لم يأت بالطريق المباشر فقد كانت هناك مراحل، ودراسات سابقة، أدت إلى ظهورها بالشكل الذي هي عليه الآن، فكانت نشأتها الـأولى فلسفية.

❖ **الدراسات السابقة:**

١- الأفعال الكلامية في القرآن (مقاربة تداولية)- بوفرمة حكيمة- بحث في دورية الخطاب- جامعة مولود معمري- الجزائر، دار الأمل للطباعة والنشر- العدد الثالث٢٠٠٨م.

٢- الأفعال الكلامية في سورة الكهف (دراسة تدولية)- رسالة ماجستير، آمنة لعور- جامعة منتوري- قسنطينة- الجزائر ٢٠١١.

٣- الأفعال الكلامية في الخطاب النبوي(دراسة نحوية اتصالية- الأربعون النووية أنموذجا)- رسالة دكتوراه- مروة محمد محمد النشمي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ٢٠١٦.

المبحث الأول: (الأفعال الكلامية في الفكر اللغوي العربي)

إن المتمعن في مؤلفات العرب الأوائل والمدقق فى قراءة نصوص تلك المؤلفات؛ سيجد أن هذه النصوص تحمل بين طياتها الكثير من العلوم كالنحو والفقه والبلاغة والمنطق وغيرها، فالمُؤَلَف الواحد يتسم بالموسوعية، ودراسة المؤلفات الأولى بشكل واعٍ غير متعسف سيجعلنا نؤصل الكثير من النظريات والدراسات التى خرج بها الغرب أمس واليوم، والأبحاث التى جاء بها علماء الغرب قد ضمنها العرب كتبهم ولكنهم لم يفصلوا فيها القول، أو يدرسوها بشكل مستقل.

وإذا بحثنا عن الأفعال الكلامية كمفهوم تداولي فى التراث العربى سنجد له جذورًا، وفى هذا الصدد يقول الدكتور محمود نحلة:" وهذه الأبحاث ليست منبتة الصلة عن التراث اللغوى العربى بل تقف منه على أرض ثابتة مفضلة أن تقرأه قراءة معاصرة تفيد من اتجاهات الدرس الحديث، ومناهجه وطرائقه فى رصد الظواهر اللغوية ومعالجتها على نحو مضبوط، يمكنها من الكشف عن ملامح نظريات عربية الوجه واللسان موازية لنظريات غربية معاصرة، أو عن ظواهر لم يعرض لها علماء العربية القدماء، ومن صدر عن منهجهم من المحدثين، أو عرضوا لها ولم يوفوها حقها من البحث الكاشف بها والمحيط بها، تجديداً للنظر فى هذا التراث اللغوى القديم، وكشفًا عن كنوزه المخبوءة، وبيانًا لعناصر القوة فيه، واصطلاحًا لما قد يكون فيه من جوانب النقص والقصور "[٥]

فالبحث التداولي وما يندرج تحته من مفاهيم، ليس منقطع الصلة عن التراث العربي، بل إنه وجد في ثنايا كتب العرب الأوائل ، ولكنه لم يدرس بشكل مفصل أو مستقل، وبالتالي لم يأخذ حقه من البحث والدراسة .

والأفعال الكلامية قد وجدت في التراث العربي ضمن (نظرية الخبر والإنشاء) "وعليه فإن ظاهرة الأفعال الكلامية قد بحثت فى تراثنا من قبل طوائف متعددة، غير أن البحث فيها فى تضاعيف هذا التراث الضخم، لم يكن مقصوداً دائماً لذاته، ولكن كثيراً ما قصد به غيره، فاتخذت الظاهرة من ثم وسيلة لا غاية، وجعلت مدخلاً لفهم علوم أخرى"[٦]

---

[٤] - ورد هذا المصطلح في كتاب / في البرجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، علي محمود حجي الصراف، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠،ط١.

[٥] - آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٥.

[٦] - التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٥، ص ٧-٨.

وخلاصة ما قيل في كون الأفعال الكلامية من كون أصولها عربية، نجد بالفعل أن لها جذورا في كتب القدامى، ولكن لم يستوِ المفهوم على سوقه كما ظهر حديثًا؛ لأن العرب لم يوجهوا عنايتهم لدراسة الأساليب في حد ذاتها دراسة مستقلة، بل إنهم كانوا يدرسونها لتفسير ظواهر أخرى، فلو كانوا أولوها اهتمامهم ، وتناولها بالبحث المستفيض، ما استطاع قائل أن يقول إن أصول الأفعال الكلامية غربية.

وفي التراث العربي نجد أن مفهوم الأفعال الكلامية يندرج ضمن مباحث علم المعاني، الذي من خلاله يتم اختيار التراكيب اللغوية المناسبة لموقف ما فيتم مراعاة أحوال المتكلمين، ومن خلال علم المعاني يتم إرشاد المتكلمين إلى جعل الصورة اللفظية أقرب ما تكون دلالة على الفكرة التي تخطر في أذهان المتلقين، وأنه على المتكلم أن يجعل لكل مقام مقال، فعلم المعاني هو: " تتبع خواص تراكيب الكلام، في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"[٧]

ويوضح السكاكي معنى التعريف الذي وضعه في تعريف علم المعاني، فبين أن المقصود من "خاصية التركيب" بأنها ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريًا مجرى اللازم له، لكونه صادرا من البليغ، لا لنفس ذلك التركيب من حيث هو هو، أو لازما له لما هو هو حينها[٨]، ثم يستطرد السكاكي في شرح التعريف، ويوضح أن الفهم هو ما يتبادر إلى الذهن؛ أي ذهن السامع عندما يسمع كلاما مثل عبارة :" زيد منطلق " " زيد يأكل" فالقصد هنا هو الإخبار عن حالة زيد مثلا فيقول: " وأعني بالفهم، فهم ذي الفطرة السليمة، مثل ما يسبق عن فهمك من تركيب: "إن زيدا منطلق " إذا سمعته عن العارف بصياغة الكلام، من أن يكون مقصودا به نفي الشك، أو رد الإنكار، أو من تركيب " زيد منطلق" من أنه يلزم مجرد القصد إلى الإخبار أو من نحو منطلق بترك المسند إليه، من أنه يلزم أن يكون المطلوب به وجه الاختصار مع إفادة لطيفة مما يلوح بها مقامها "[٩]

ومقصد الكلام أن التراكيب تختلف معناها على حسب السياقات المختلفة التي ترد فيها، وعلم المعاني عند السكاكي يهتم ويركز على التراكيب التي لها دلالات مفيدة، سواء أكانت واضحة وجلية أم ضمنية ومستلزمة عن المعاني الحرفية، وكل ذلك يفهم من المقام، وبحسب مقاصد المتكلمين، وهذا ما تقوم عليه التداوليات الحديثة.

فبدراسة نظرية الخبر والإنشاء عند العرب؛ تتبين الأدوات المنهجية لدراستهم مفهوم الأفعال الكلامية، التي تندرج ضمن مباحث علم المعاني، فعلماء التراث من نحاة وبلاغيين وأصول قد وجهوا عنايتهم وجل اهتمامهم إلى التفريق بين الجمل الخبرية والإنشائية، ولكنهم اختلفوا فيما بينهم في التمييز بين الخبر والإنشاء

ومن الكتب المهمة التي رجعت إليها وتبين من خلال موضوعاته تضمنه لمفهوم الأفعال الكلامية، هو(كتاب الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها) حيث إن الكلام قد يخرج عن معناه الأصلي ليتضمن معنى آخر إضافي، أى أن الألفاظ تحمل أكثر من معنى، فالمعنى الأول أو الظاهر هو ما سماه (أوستين) رائد الأفعال الكلامية بالفعل اللفظي، والمعنى الآخر الذي يكمن خلف المعنى الأصلي هو ما عرف عند (أوستين)بالفعل الإنجازي، فالأفعال الكلامية تعرف بأنها: " كل ملفوظ ينهض على شكل دلالي إنجازي تأثيري" [١٠] ومن قضايا علم المعاني التي يخرج فيها اللفظ عن معناه الأول ويتضمن معاني أخرى، الخبر والإنشاء

---

[٧] - مفتاح العلوم، للإمام سراج الملة والدين أبي يعقوب يوسف بن أبي بكرمحمد بن علي السكاكي،ت (٦٢٦)، ضبط هوامشه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٨٧،ص١٦١.

[٨] - المرجع السابق، ص ١٦٢.

[٩] - المرجع السابق، نفس الصفحة.

[١٠] - التداولية عند العلماء العرب، ص٤٠.

ولقد وعى ابن فارس كما وعى غيره من فحول كتاب، ومؤلفى التراث العربى بما جاء به المحدثون حينما تكلم عن(معانى الكلام) [١١]ومن معانى الكلام التى ذكرها، وخرج فيها اللفظ عن ظاهره إلى معانٍ أخرى: **الخبر، والاستخبار**.

أولا: الخبر:

فالخبرعنده :"ما جاز تصديق قائله، أو تكذيبه، وهوإفادة المخاطب أمرا فى ماض من زمان، أو مستقبل، أو دائم، نحو قولك: (قام زيد) و(يقوم زيد) و(قائم زيد)، ثم يكون واجبا، وجائزا، وممتنعا، فالواجب قولنا:(النار محرقة)، والجائز قولنا: (لقى زيدعمرا)، والممتنع قولنا: (حملت الجبل)"[١٢] ومن هذا الحد للخبر عند ابن فارس يتضح، أن المعنى الظاهر عنده هو جواز تصديق الخبر أو تكذيبه، دون أن يحترز شيئا فلم يقرن صدق الخبر بصدقه فى الواقع أو حتى على حسب اعتقاد المتكلم بصدقه، أوعدمه، وكذلك فى الخبر الكاذب، وقسمه لواجب وهو مالايستطيع عاقل أن يشك فيه أو يكذبه، مثل : (الشمس تشرق من المشرق) وهى ظاهرة كونية وحقيقة لا يستطيع أحد أن يكذبها، وجائز، والجائز عنده: هو ما يجوز قبوله وتصديقه،مثل: (قابل محمد عليا)، أما الخبر الممتنع عنده: هو مستحيل الحدوث لأنه مخالف للواقع ولا يقر به العقل، مثل:(حمل الرجل فى بطنه طفلا)

- **خروج الخبر عن ظاهر لفظه وتضمنه لمعانى مستلزمة فى (كتاب : الصاحبى لابن فارس) ومن هذه المعانى:**

وللخبر معانٍ أخرى يخرج بها عن ظاهر لفظه، وذكرها ابن فارس فى الصاحبى، ومنها:

١- **التعجب** : نحو(ما أحسن زيدا) فالمعنى اللفظى الظاهر –وذلك على حسب المذهب الذى ذهب إليه ابن فارس فى تعريفه للخبر- أنه خبر جائز التصديق، ومايستلزم عنه هذا المعنى، التعجب، وقرينة الحال فى هذه الجملة هى صيغة التعجب (ما أفعل).

٢- **التمنى**: مثل (وددتك عندنا) فالمعنى الظاهر،هو جواز تصديق الخبر، أما المعنى المستلزم هو التمنى .

٣- **الإنكار**: مثل(ما له على حق) خبر يجوز فيه التصديق، أو التكذيب، أما المعنى الخفى هو أن المخبر يريد أن ينكر على أحد ما المطالبة بحق ما.

٤- **النفى**: مثل:(لا بأس عليك)

٥- **الأمر** : يخرج الخبر عن ظاهره؛ ليستلزم معنى الأمر، كما فى قوله تعالى :
" أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ "[١٣]
فظاهر الخبر هنا فى الآية الكريمة يحمل معنى التصديق؛ لأنه قول العلى القدير، وكلام المولى تعالى واجب التصديق، والخبر هنا يتضمن ويستلزم معنى الأمر" فهذا أمر من الله عز وجل للمطلقات المدخول بهن من ذوات الأقراء"[١٤]

٦- **النهى**: قد يستلزم عن الخبر معنى النهى كما فى قوله تعالى:

---

[١١] – ذكر ابن فارس أن معانى الكلام عند بعض أهل العلم عشرة هى: خبر، واستخبار، وأمر، ونهى ، ودعاء، وطلب، وعرض، وتحضيض، وتمنى ، وتعجب. انظر الصاحبى فى فقه اللغة، ص١٣٣.

[١٢] – الصاحبى فى فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، للإمام أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، علق عليه/ أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٩٧ ،ص١.

[١٣] – البقرة، الآية: ٢٢٨.

[١٤] – تفسير القرآن العظيم،للحافظ أبي الفدأ إسماعيل عمربن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق / سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للمشر والتوزيع،ط٢، ١٩٩٩، ج١،ص٦٠٦.

"لا يمسه إلا المطهرون "[١٥] النهى فى الآية الكريمة طلب جاء على صيغة الخبر، وما جاء فى تفسير الآية الكريمة، يفيد أيضا معنى النهى: "قيل : المقصود به الكتاب الذى فى السماء، وقيل: لايمسه عند الله إلا المطهرون، فأما فى الدنيا، فإنه يمسه المجوس النجس، والمنافق الرجس، وقيل أيضا: أن الذى لا يمسه أصحاب الذنوب، وقيل: المطهرون من الجنابة والحدث، والمراد بالقرآن ها هنا المصف الشريف، وقيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو؛ مخافة أن يناله العدو" .[١٦].

وبقى لنا أن نثبت إدراكه التام لخروج ألفاظ أخرى عن معناها؛ كى لا ينكر جاحد أو مدع على علماء العربية عدم معرفتهم بما وصل إليه المحدثون، فهذا محض افتراء، وما يزيدنا تأكيداً بوعى اللغوى ابن فارس بالأفعال الكلامية هو: ما ذكره عن **الاستخبار**، وكذلك **الأمر**

٢- ثانيا الاستخبار: المقصود به الاستفهام، فقد عرفه بقوله: "الاستخبارطلب خبرما ليس عند المستخبر، وهو الاستفهام"[١٧]

ومعنى ذلك أن الاستخبار هو طلب العلم بالشئ، وهنا يقصد به المعنى الظاهر للألفاظ ، وذكر ابن فارس أن الخبر قد يخرج عن معناه الظاهر ويتضمن معانى أخرى ومنها:

- **خروج الاستخبار عن ظاهر لفظه، وتضمنه معانى أخرى فى كتاب (الصاحبى : لابن فارس)، ومنها:**

١- **التعجب** : مثل قوله تعالى: "فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ "[١٨]

والمعنى الظاهر لقول الله تعالى: قصد به الاستخبار، وطلب العلم عن أصحاب الميمنة، وهم صنف من الأصناف الثلاثة، الذين أجملهم الله تعالى فى قوله: " وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً"[١٩]،ثم فصل القول، وقال تعالى: "فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ"[٢٠]' والمعنى الظاهر الذى يستخبر عنه كما ورد فى التفسير – والله أعلم- " أصحاب الميمنة: هم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن، ويؤتون كتبهم بأيمانهم، وقيل: هم جمهور أهل الجنة، وأصحاب المشأمة: هم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر، ويؤتون كتبهم بشمائلهم، وهم جمهور أهل النار- نعوذ بالله من صنيعهم-"[٢١]

أما المعنى المستلزم لقول الله عز وجل، هو: التعجب ودل عليه قرينة (ما أفعل التعجبية).

٢- **التفخيم:** وذلك كما فى قول الله تعالى: " مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ "[٢٢]

فالغرض المستلزم عن قول الله: - والله أعلم- التفخيم، أى : تفخيم أنواع العذاب والقرينة التى تفيد ذلك، لفظة (منه) وفيها الهاء ضمير يحيل على العذاب، والمراد أى نوع من أنواع العذاب تستعجلون؟ .

٣- **التوبيخ:** قد يستلزم عن الاستخبار معنى التوبيخ، كما فى قول العلى القدير: "أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا " [٢٣]

---

[١٥] – الواقعة، الآية: ٧٩.

[١٦] – تفسير القرآن العظيم،ج٧، ص٤٤٤،٤٤٥.

[١٧] – الصاحبى فى فقه اللغة، ص١٣٤.

[١٨] – الواقعة، آية: ٨.

[١٩] – الواقعة،آية: ٨.

[٢٠] – الواقعة، الآيات من ٨:١٠.

[٢١] – تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص٥١٥.

[٢٢] – يونس، الآية: ٥٠.

فالمعنى المستلزم عن قول العلى القدير، هو التقريع والتوبيخ لهؤلاء الكافرين.

٤- **التفجع:** مثل قول الله عز وجل: " أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ "[٢٤] خرج الاستفهام عن دلالة الطلب، واستلزم دلالة أخرى، وهى التفجع، والهول مما سيلحق بالكافرين من عذاب؛ نتيجة ذنوبهم، فكتبهم أحصت لهم كل ذنب صغير وكبير، وكل عمل مهما صغر.

٥- **التبكيت:** مثل قول الله عز وجل: "أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ "[٢٥] هذا خطاب من رب العالمين لنبى الله عيسى عليه السلام، خرج فيه الاستخبار عن معنى الطلب، للتبكيت والتقريع، والتهديد لمن اتخذ عيسى عليه السلام، وأمه السيدة مريم إلهين من دون الله عز وجل، وما جاء فى تفسير الآية الكريمة، يؤكد هذا المعنى، والله أعلم : " هذا مما يخاطب الله تعالى عبده ورسوله عيسى ابن مريم علية السلام، قائلا له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله، وهذا تهديد وتوبيخ وتقريع على رؤوس الأشهاد". [٢٦]

٦- **التقرير**: معنى آخر من المعانى التى قد تستلزم عن الاستخبار، ومثله ما جاء فى قول الله تعالى: " وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ "[٢٧] ورد هذا الاستخبار فى سياق قول الله تعالى: "قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ"[٢٨]
ويفيد معنى التقرير " ففى الآية الكريمة: يخبر الله تعالى أنه استخرج ذرية آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم، ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك، وجبلهم عليه" .[٢٩]

فالله عزوجل يشهدهم، وهم يقرون بذلك، وقرينة الحال هى كلمة (بلى).

٧- **التسوية**: مثلما جاء فى قوله تعالى: "وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ "[٣٠] فهمزة الاستفهام خرجت من معنى الطلب لمعنى آخر متضمن فى الطلب، وهو معنى التسوية، فالكافرون الجاحدون الأمر عندهم سواء، فهم سيظلون على كفرهم سواء بإنذار، أو دون إنذار.

٨- **الاسترشاد**: جاء الاستفهام متضمنا معنى الاسترشاد، كما فى قول العلى القدير: " وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ "[٣١]

---

[٢٣] – الأحقاف، الآية: ٢٠.

[٢٤] – الكهف، آية: ٤٩.

[٢٥] – المائدة، آية: ١١٦.

[٢٦] – تفسير القرآن العظيم، ج٣،ص٢٣٢.

[٢٧] – الأعراف، آيه: ١٧٢.

[٢٨] – الأعراف، آية: ١٧٢.

[٢٩] – تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٥٠٠.

[٣٠] – البقرة، آية:٦.

[٣١] – البقرة، آية: ٢٧.

وما جاء فى تفسير قول الله تعالى فى الآية السابقة يؤيد هذا المعنى السابق" فقد ورد أن الله عز وجل أعلم ملائكته الكرام، أنه كان فى الأرض خلق أفسدوا فيها، وسفكوا الدماء"[٣٢]

والمعاني السالفة الذكر نوع من الأمثلة التى ذكرها ابن فارس فى كتابه الصاحبي، استدل بها على خروج الاستخبار عن معناه الأصلى ليتضمن معان أخرى، أما فى هذا الموضع من هذا البحث إثبات وعي علماء العرب القدامى بالنظريات الحديثة.

المبحث الثاني: الأفعال الكلامية من المنظور اللغوي الغربي

إن الأفعال الكلامية في الدراسات الغربية، نجدها مرت بمرحلتين، المرحلة الأولى هي مرحلة التأسيس والنشأة عند " أوستين" والمرحلة التانية هي مرحلة النضج والاكتمال، ويعود الفضل فيها " لسيرل" تلميذ " أوستين".

١/ مرحلة التأسيس والنشأة

للدرس التداولى مصادر عديدة، فلكل مفهوم من مفاهيم التداولية المختلفة حقل معرفى استمد منه مادته العلمية، والأفعال الكلامية جذورها الأولى فلسفية، فقد انبثقت من مناخ فلسفى هو الفلسفة التحليلية.

والفلاسفة المعنيون باللغة أمثال " رسل وفتجنشتاين" هما اللذان أثرا في أوستين، بسبب المبادئ التي تبنوها، " حيث كانوا يسعون لإيجاد لغة مثالية تتجنب كل عيوب اللغة العادية، فتكون أكثر ملاءمة للفكر الفلسفي" [٣٣].

وسبب بحث هؤلاء الفلاسفة عن لغة تناسب فكرهم الفلسفي، أن اللغة ليست وصفية تقريرية فحسب، تستخدم لوصف وقائع العالم وصفاً إما يكون الحكم عليه بالصدق أو الكذب، فاللغة تتعدد وظائفها وخصائصها، وكذلك تتعدد معانيها بحسب السياقات المختلفة التي ترد فيها.

وكان فلاسفة الوضعية المنطقية يرون اللغة وسيلة لوصف الوقائع الموجودة في العالم الخارجي بعبارات إخبارية ثم يكون الحكم بعد ذلك على هذه العبارات بالصدق إن طابقت الواقع وبالكذب إن لم تطابقه.

وهذا ما رفضه أوستين في قصر اللغة على مثل هذه العبارات الإخبارية " أما الفلاسفة فلطالما توهموا حينما افترضوا أن شأن الحكم في القضية إما أن يصف حالة شيء ما، وإما أن يثبت واقعة عينية، مما يعنى أن الحكم القضية إما أن يكون صادقاً أو كاذباً"[٣٤].

وما قدمه أوستين لنظرية الأفعال الكلامية يتضح من خلال تمييزه بين نوعين من الأفعال التي رفض أن تكون اللغة مقصورة عليها، وهي:

(أ)- أفعال إخبارية: وهى أفعال تصف وقائع العالم الخارجي، وتكون صادقة أو كاذبة.

(ب)- أفعال أدائية: تنجز بها في ظروف ملائمة أو تؤدى، ولا توصف بصدق ولا كذب، بل تكون موفقة أو غير موفقة، ويدخل فيها التسمية والوصية، والاعتذار، والرهان، والنصح، والوعد[٣٥].

والأفعال الأدائية عند أوستين لها شروط هي:

١/ شروط الملاءمة : وهذه الشروط إذا تحققت أدت إلى نجاح الفعل الأدائى وإذا لم تتحقق أدت إلى إخفاقه.

---

[٣٢] – تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٢١٩.

[٣٣] – آفاق جديدة في البحث اللغوى المعاصر، محمود نحلة، ص ٤٣.

[٣٤] – نظرية أفعال الكلام العامة، أوستين، ترجمة عبد القادر قنينى، أفريقيا الشرق، ص١٣.

[٣٥] – آفاق جديدة في البحث اللغوى المعاصر، ص٤٥، بتصرف.

٢/ شروط قياسية: وليست لازمة لأداء الفعل ولكنها لازمة لأدائه أداءً موفقًا غير معيب، وإذا لم تتحقق، كان في ذلك إساءة أداء للفعل.

إن تقسيم أوستين الأفعال إلى إخبارية وأدائية، ووضع شروط لهذه الأفعال، أمر غير حاسم، لأن كثيرًا من الأفعال الإخبارية تخرج من دائرة الإخبار إلى الأداء، وإن الكثير من الأفعال الأدائية التي تنطبق عليها الشروط التي وصفها تكون غير أدائية، " وهذا ما جعل أوستين ينتقل إلى مرحلة ركز فيها بشكل دقيق على المقصود من القول، فحين أتلفظ بكلام ما أنجز فعلاً معيناً، ومن ثم فإن المتلفظ بأية جملة تنتمي إلى لغة طبيعية معينة يقوم بأصناف ثلاثة من الأفعال اللغوية"[٣٦].

١/ الفعل اللفظى أو فعل القول:

وهو يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوى صحيح ينتج عنه معنى محدد، وهو المعنى الأصلى، وله مرجع يحيل إليه.

٢/ الفعل الإنجازى: وهو ما يؤديه الفعل اللفظى من معنى إضافى يكمن خلف المعنى الأصلى.

٣/ الفعل التأثيرى: ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازى في السامع[٣٧].

إن الفعل الأساسى الذي لا يتم الكلام إلا به هو الفعل اللفظى، أو المعنى الأول ففعل القول يرتبط بصميم اللغة، والفعل الإنجازى هو أهم الأفعال عنده فهو أساس نظرية الأفعال الكلامية، وأسباب تسمية بعض الدراسين لنظرية الأفعال الكلامية بالنظرية الإنجازية لتركيز أوستين على الفعل الإنجازى دون غيره من الأفعال اللغوية والتأثيرية.

❖ وقدم أوستين تصنيفا آخر للأفعال يشتمل على خمسة أصناف هي:

١/ الحكمية: وتقوم على الإعلان عن حكم تأسيس على بداهة، أو أسباب وجيهة تتعلق بقيمة أو حدث، مثل إخلاء الذمة، مثل وصف، قدر، صنف.

٢/ التمرسية: وتقوم على إصدار قرار فيه صالح للمتكلم، مثل أمر، قاد، ترجى، طلب.

٣/ التكليف: ويلزم المتكلم بأفعال محددة مثل وعد، تمنى، أقسم.

٤/ العرضية: وتستعمل لعرض مفاهيم، وبسط موضوع، وتوضيح استعمال كلمات مثل أكد وأنكر، وأجاب، ووهب.

٤/ السلوكيات: ويتعلق الأمر بردود أفعال تجاه سلوك الآخرين، وتجاه الأحداث المرتبطة بهم، مثل الاعتذار، والشكر، والتعزية، والمباركة[٣٨].

هذا يعد خلاصة ما توصل إليه أوستين في نظرية الأفعال الكلامية، وعلى الرغم من أنه غير كاف لوضع أسس لنظرية متكاملة، إلا أنه جهد مشكور لعالم أتى بعده تلاميذه ليكملوا من حيث انتهى، حيث انطلق سيرل لوضع الأسس المنهجية والمعايير التي اكتملت بها نظرية الأفعال الكلامية واستوت على سوقها كما هي في الدرس اللغوى المعاصر.

٢/ مرحلة النضج والاكتمال عند سيرل

إن ما جاء به أوستين من دراسات حول الأفعال الكلامية، لم يكن كافياً لبناء نظرية كاملة، حيث إنه لم يبنِ ما جاء به على أصول وقواعد واضحة، فاختلطت عنده الأمور، ولم يكن راضيًا عن تقسيماته للفعل الكلامى، وهذه هي البدايات دائماً قد يصيبها القصور والنقص في بعض الجوانب.

---

[٣٦] – الاستلزام الحوارى في التداول اللسانى من الوعى بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، العياشى أدراوى، دار الأمان ، الرباط ، ط ١، ٢٠١١، ص٨٥.

[٣٧] – آفاق جديدة في البحث اللغوى المعاصر، مرجع سابق، ص ٤٧.

[٣٨] – المقاربة، فرانسوا أمرينكو، ترجمة سعيد علوش، ص ٦٢.

وتعد دراسة سيرل للأفعال الكلامية أكثر دقة، وذلك نظرًا لما أسهم به، من إضافات وتعديلات تتمثل فيما يأتى:

أ/ إن أول ما فعله سيرل : تحليل الفعل الكلامي إلى قوة متضمنة في القول، ومحتوى قضوى[٣٩]، وهذا ما تميز به عن أوستين الذي فصل فعل القول عن الفعل المتضمن في القول، حيث يرى سيرل أن فعل القول مغاير للمحتوى القضوى ففصلها ضرورة، وأصبح الفعل الكلامى عبارة عن أربعة أفعال، أبقى على اثنين مما جاء به أوستين وهما (الفعل التأثيرى، والفعل الإنجازى) وأضاف سيرل فعلين هما فعل القول، والفعل القضوى، والـأخير لا ينفصل عن فعل القول بما يأتى معه في تركيب واحد، وهو يشمل المتحدث عنه، أو المرجع، والمتحدث به، أو الخبر[٤٠].

ب/ الفعل الكلامى عند سيرل غير مقصور على مراد المتكلم بل يعد أوسع من ذلك بكثير، فهو عند سيرل مرتبط أيضا بالعرف اللغوى والاجتماعى.

ج/ جعل سيرل شروط الملاءمة أربعة إذا تحققت هذه الشروط كان الفعل الكلامى موفقاً. وقام سيرل بتطبيق هذه الشروط مجموعة من الأفعال، منها أفعال الرجاء، والإخبار، والتهنئة والاستفهام، والشكر، و من هذه الشروط:

١- شروط المحتوى القضوى
٢- الشرط التمهيدى
٣- شرط الإخلاص
٤- الشرط الأساسي[٤١].

د/ أعاد سيرل النظر في تصنيف أوستين للأفعال الكلامية، وقد جعلها سيرل خمسة أصناف منها:

١- الإخباريات:

غرضها الإنجازى هو نقل المتكلم واقعة من خلال قضية يعبر بها عن هذه الواقعة، وأفعال هذا الصنف تحتمل الصدق والكذب، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، ويتضمن هذا الصنف معظم أفعال الإيضاح عند أوستين[٤٢].

٢- التوجيهات (الأمريات أو الطلبيات)

وغرضها الإنجازى محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشروط الإخلاص فيها يتمثل في الإرادة أو الرغبة الصادقة، والمحتوى القضوى فيها دائمًا فعل السامع شيئًا في المستقبل ويدخل في هذا الصنف الاستفهام، والأمر، والرجاء والاستعطاف، والتشجيع وكثيراً من أفعال القرارات عند أوستين تدخل في هذا الصنف[٤٣].

٣- الوعديات (الالتزاميات)

وغرضها الإنجازى هو التزام المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو القصد، والمحتوى القضوى فيها دائماً فعل المتكلم شيئاً في

---

[٣٩]– نظرية أفعال الكلام بين فلاسفة اللغة المعاصريين والبلاغيين العرب، نظرية أفعال الكلام بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد الطبطبائي،مطبوعات جامعة الكويت،١٩٩٤، ص١٣، بتصرف.

[٤٠] – آفاق جديدة في البحث اللغوى المعاصر، مرجع سابق، ص٧٤.

[٤١] – المرجع السابق، ص٧٦– ٨٠.

[٤٢] – المقاربة التداولية ، فرانسواز أرمينكو، ص٣٠.

[٤٣] – آفاق جديدة في البحث اللغوى المعاصر، ص٨٢.

المستقبل، والمسئول عن إحداث المطابقة هو المتكلم، والشروط المعدة هو قدرة المتكلم على أداء ما يلزم به نفسه[٤٤].

٤- التعبيريات:

وغرضها الإنجازى هو التعبير عن الموقف النفسى، حيال الواقعة التي تعبر عنها القضية، وليس لهذا الصنف إتجاه مطابقة، فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي، ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات، وكل ما هو مطلوب الإخلاص في التعبير عن القضية، ويدخل في هذا الصنف أفعال الشكر، والتهيئة، والاعتذار، والتعزية، والترحيب[٤٥].

٥- الإعلانيات

والغرض منها إحداث تغيير في العالم، بحيث يطابق العالم المحتوى القضوى بمجرد الإنشاء الناجح لفعل الكلام، فإذا أديت فعل إعلان الحرب أداء ناجحاً فالحرب معلنه، وأهم ما يميز هذا الصنف أنها تحدث تغييراً في الوضع القائم فضلاً عن أنها تقضى عرفاً غير لغوى، واتجاه المطابقة فيه قد يكون من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات، وهذا ما يسميه سيرل الاتجاه المزدوج[٤٦].

❖ **التمييز بين الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة**

في الأشياء المهمة في مرحلة النضج والاكتمال، والتى لابد من الإشارة إليها تمييز سيرل بين الأفعال الإنجازية المباشرة، وغير المباشرة.

إن تمييز سيرل بين الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة، مرحلة تالية لما جاء به أستاذه أوستين والذي قسم الفعل إلى صريح وأولي حين قال في محاضراته:

" فلتسمحوا لى بأن أتوقف لحظة حتى نمعن النظر قليلاً في هذا التركيب " الصيغة الإنشائية الصريحة، لمقابلته بتركيب آخر، وهو الصيغة الإنشائية الأصلية أو الأولية مثل قولنا (سأكون هناك)، والصيغة الإنشائية الصريحة مثل : (أعدك بأننى سأكون هناك)، يمكن ملاحظة أن المثال الأول يستوعب أكثر من احتمال حول دلالته، والمثال الثانى صريح في دلالته على الوعد، مع ضعف قبول احتماله لدلالات أخرى[٤٧].

من خلال كلام أوستين نفسه يلاحظ أن الفعل المباشر عنده هو الفعل الذي ليس له إلا دلالة واحدة ودلالته على الشيء صريحة ومباشرة، في المقابل يكون الفعل غير المباشر، هو الذي يحتمل في مضمونه أكثر من معنى.

إن الأمر مختلف عند سيرل، حيث إن الأفعال الإنجازية المباشرة عنده "هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فيكون معنى ما ينطقه مطابقاً تامة وحرفية لما يريد أن يقول، وهو يتمثل في معانى الكلمات التي تتكون منها الجملة، وقواعد التأليف التي تنتظم بها الكلمات في الجملة، ويستطيع السامع أن يصل إلى مراد المتكلم بإدراكه لهذين العنصرين معاً"[٤٨].

ومعنى ذلك أن يكون الكلام واضحاً وضوحاً تاماً ولا يحتمل أي معان إضافية أخرى فالكلام يكون محدوداً يخرج من فم المتكلم ليحدث نفس الأثر الذي يريده المتكلم في المتلقى أو المستمع.

---

[٤٤] – نظرية أفعال الكلام بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص٣٠.

[٤٥] – آفاق جديدة في البحث اللغوى المعاصر، مرجع سابق، ص٨٣.

[٤٦] – نظرية أفعال الكلام بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص٣١

[٤٧] – نظرية أفعال الكلام العام ، جون أوستين، ص١١٠.

[٤٨] – آفاق جديدة في البحث اللغوى المعاصر، ص ٨٤.

وقد يخرج الكلام عن السياق وعن المقتضى المطلوب إلى أغراض ومعانٍ أخرى أو أن المتكلم يعنى أكثر مما ينطق به، وهذا ما يقصد به الفعل الإنجازى غير المباشر، " ويعد من الإشكاليات المركزية في تداولية أفعال الكلام، وجوهر هذه الإشكالية المسافة بين القول والمقصد وطبقات المعنى المتعددة بين معنى قضوى حرفى والفعل الذي ينجزه المتكلم في السياق، فالمتكلم لا يقول ما يعنيه في كل مناسبات المنطوق عن نحو مباشر"[٤٩].

ويتضح مما ذكره علماؤنا المحدثون في تحليلهم للأفعال الإنجازية غير المباشرة، أنها دائما غير مقصورة على معنى واحد، فالمتكلم بهذا النوع من الأفعال يقول قولاً ويعنى شيئاً آخر ثم كيف يكون ممكناً أن يسمع المخاطب شيئاً له معنى ويفهم منه معنى آخر.

ولقد جعل الدكتور "محمد العبد" العرف اعتباراً تداولياً في كتابه (النص والخطاب والاتصال) وبناء على العرف الموجود في بيئة لغوية معينة سوف يحدد الفعل الكلامى ما إذا كان مباشراً أو غير مباشر، فالاستفهام مثلاً في قولنا : هل يمكنك أن تفتح الباب؟ قد يكون فعلاً كلامياً مباشراً للسؤال، وقد يكون أيضا فعلاً كلاميًا غير مباشر إذا اعتبرنا هذا الاستفهام طلباً لفتح الباب[٥٠].

في المقابل نجد أن الدكتور "محمود نحلة" قد ذكر أيضاً بعض الضوابط للتمييز بين الأفعال المباشرة وغير المباشرة، وهذه الفروق هي

١/ " أن القوة الإنجازية للأفعال المباشرة تظل ملازمة لها في مختلف المقامات أما الأفعال الإنجازية غير الحرفية فموكولة إلى المقام لا تظهر قوتها الإنجازية إلا فيه"[٥١].

وهذا أمر واضح لا نقاش فيه حيث إن الأفعال الإنجازية المباشرة تكون لها قوة إنجازية واحدة، لأنها لا تحتمل إلا معنى واحد، ولا تتغير بتغير السياقات المختلفة للكلام، وعلى العكس القوة الإنجازية للأفعال الغير مباشرة تتعدد بتعدد المقامات المختلفة التي يرد فيها هذا الفعل غير المباشر، فالقوة الإنجازية تتنوع نظراً لتنوع المعنى ذاته.

٢/ أن القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة يجوز أن تلغى، فإذا قال لك صاحبك أتذهب معي إلى المكتبة؟ قد تلغى القوة الإنجازية غير المباشرة، وهى الطلب ليقتصر الفعل على قوته الإنجازية المباشرة، وهى الاستفهام.

وفى رأى الباحثة أن هذا الكلام معناه أنه لا يجوز أن يتحول الفعل الكلامي غير المباشر إلى فعل كلامى مباشر.

٣/ أن القوة الإنجازية غير المباشرة لا يتوصل إليها إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية تتفاوت من حيث البساطة والتعقيد، أما القوة الإنجازية المباشرة فتؤخذ مباشرة من تركيب العبارة نفسها[٥٢].

ولذلك فإن مقصد هذا الكلام أن الأفعال غير المباشرة تحتاج إلى إعمال العقل، كي يتدبر المتلقي المعنى الذي يقصده الملقى عليه، وليس شرطاً أن المعنى المقصود معقداً، ولكن المعانى تتنوع بين البساطة والتعقيد حسب الفعل نفسه، وعلى النقيض فإن الأفعال الكلامية المباشرة دلالاتها المباشرة لا تحتاج إلى تأويلات لأن المعنى فيها يكون جلياً.

هذه تعد إنجازات الفيلسوف اللغوى سيرل في مجال الأفعال الكلامية فقد أضاف إليها الكثير، ومهد أيضاً لظهور مفهوم تداولى آخر، أصبح الآن يدرس بشكل مستقل في الدرس التداولى المعاصر، ألا وهو الاستلزام الحوارى، والاستلزام الحوارى عند سيرل هو مفهوم

---

[٤٩] – النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي،ط٢٠١٤،١.

ص ٢٩١، وينظر محمود نحله،ص٨٥.

[٥٠] – المرجع السابق، ص٢٩١، بتصرف.

[٥١] – آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ٨٦– ٨٧.

[٥٢] – المرجع السابق ، ص ٨٧.

مرادف للأفعال الكلامية غير المباشرة، ومثال ذلك إذا طلب أحد من صديق له الحضور إليه في موعد ما، وكان رد صديقه عليه أن لديه امتحان في هذا الموعد الذي يرغب في أن يحضر له فيه، فالفعل المباشر هو الطلب أو الأمر والفعل غير المباشر هو الاعتذار.

المبحث الثالث الجانب التطبيقي في خطب عصر بني أمية السياسية.

خطبة معاوية بن أبى سفيان بالمدينة عام الجماعة[٥٣]

١ـ الظروف السياسية العامة التى تولى فيها معاوية:

عندما قتل خليفة المسلمين الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه، وكان معاوية فى هذا الوقت والياً على الشام، فأرسلت زوجة عثمان (نائلة بنت الفرافصة) إلى معاوية كتاباً تسرد له فيه ما حدث وبعثت بقميص عثمان وعليه دمه، فقال ابن عباس لعلى رضى الله عنه: اكتب إلى معاوية فأقَّره على الشام، وأطعمه يكفك نفسه وناحيته، فإذا بايع لك الناس أقررته أو عزلته، فقال على: إنه لا يرضى حتى أعطيه عهد الله وميثاقه أن لا أعزله، فكان معاوية فى هذا الحين يطيف بقميص عثمان فى أنحاء الشام ويحرضهم على الطلب بدمه، ورفض معاوية مبايعته، وقد أرسل على جريراً إلى معاوية، فكلمه وعظم علياً فأبى أن يبايع، وقام أهل الشام بمبايعة معاوية، وكان معاوية يبعث أعوانه، فيقتلون من كان فى طاعة علي، أو من أعان على قتل عثمان، ثم بعد ذلك استشهد على رضى الله عنه[٥٤].

ودخلت سنة أربعين وفيها بويع للحسن بن على عليه السلام بالخلافه، واستخلف أهل العراق الحسن بن على عليه السلام على الخلافة، وكان الحسن لا يريد القتال، ولكنه يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية، وقد أشاع معاوية فى أهل الكوفة إن قيس بن سعد قُتل وتفرق الناس وانقضوا على الحسن وسرقوا متاعه وأمواله، وبايعوا معاوية، ودخلوا فى طاعته، ولما رأى الحسن تفرق الأمر عنه طلب الصلح من معاويه، أى أنه بعث إليه يطلب الصلح والأمان، ودخلت سنة إحدى وأربعين وقام الحسن بن على بتسليم الأمر إلى معاوية ودخل معاوية الكوفة[٥٥]. "وبايعه الحسن بن على، وسُمى عام الجماعة"[٥٦].

٢ـ مضمون الخطبة والسياق العام لها:

"لقد أوصى الإمام الشهيد على بن أبى طالب ابنه الحسن بالخلافه، وخطب الحسن فى مسجد الكوفة، وبايعه أهل الكوفة والبصرة والمدائن والحجاز"[٥٧].

حينما علم معاوية بهذا الأمر، أن الحسن سيتولى الخلافه استشاط غضباً، فقد كان يرى فى نفسه الخليفه الراشد الذى سيسير بين المسلمين كأبى بكر وعمر وعثمان، وأنه الوحيد الذى يستطيع الانتقام من قتلة عثمان بن عفان.

فحدثت فتنة بين المسلمين وانقسموا ما بين مؤيد للحسن وآخر مؤيد لمعاوية، ولما رأى الحسن رضى الله عنه وعن أبيه أن تنازله عن الخلافة لمعاوية فيه صلاح للمسلمين تنازل لمعاوية، وبذا يكون قد بدأ عهد الدولة الأموية، وكان ذلك فى سنة إحدى وأربعين للهجرة، وحينما تولى معاوية قدم إلى المدينة واستقبله نفر من قريش ودعوا له بالعزة وعلو المكانة، فلم يرد على أحد، وصعد المنبر وخطب فيهم وقال: إنه سلك لهم طرق النفع، وإن لم يكن أحسنهم خُلقاً ودِيناً،

---

53 - قد اعتمدت نص الخطبة من كتاب العقد الفريد لابن عبدربه ، للفقيه محمد بن عبد ربه الأندلسي(ت٣٢٨) تحقيق/ مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٨٣.ج٢.

٥٤- سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين الذهبى، مؤسسة الرسالة، ط ١١، ١٩٩٦، صـ ١٣٦، ١٣٧.

٥٥- تاريخ الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، ج٥، دار المعارف، ط٢، صـ ١٥٧، ١٥٩.

٥٦- سير أعلام النبلاء، صـ ١٣٧.

٥٧ -الكامل فى التاريخ، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى، المعروف بابن الأثير، ج٣، دار الكتب العلميه بيروت – لبنان – ط١، ١٩٨٧، صـ٢٧١

فهو أنفعهم لولاية أمورهم فلا يعتدي على أحد دون وجه حق، فيسالم من سالموه، ويحارب من حاربوه، ولا يحتاج من كلامهم إلا القول النافع، أما غير ذلك فلا يلقى له بالاً، ولا يهتم بكلام ليس فيه فائدة فسيعرض عنه كأنه لم يسمعه، ودعاهم إلى الصبر عليه، فإنه إن لم يستطع أخذ الحقوق لأصحابها جميعهم فلن يغفل عن حق بعضهم، وهو يعضد على كلامه بقوله "إن السيل إذا جاء يثرى وإن قل أغنى" فهو يشبه نفسه بالماء الذى يسقط من السماء فإذا كثر حدث الثراء والنماء وكثر الخير وزاد النفع، وإذا قل الماء فإنه يجدى ويحدث الخير أيضاً، ففى كل الأحوال يجد أن فى ولايته نفع للأمة الإسلامية.

وبعدما أبدى معاوية محاسنه وسياسته الراشدة، أخذ يحذر المتلقين من الفتن؛ لأنها سبيل كل مفسدة، وتؤدى إلى ضيق فى الرزق وتؤدى إلى حياة مشوبة بالهموم والمصاعب والمتاعب.

٣ـ الأفعال الكلامية فى الخطبة:

الملقى للخطبة: معاوية بن أبى سفيان.

المتلقى: أهل يثرب من المسلمين.

مكان الخطبة: المدينة المنورة.

زمان الخطبة: سنة إحدى وأربعين للهجرة.

موضوع الخطبة: عن ولاية معاوية والسياسة التى يتبعها.

ورد فى المقام الذى يسبق الخطبة الأفعال الكلامية الآتية:

(الحمد لله الذى أعز نصرك):

- الفعل الكلامى: أعز نصرك:ويتضمن هذا الفعل ثلاثة أفعال كلامية.
- الفعل القولى: يتمثل فى الفعل أعز: وهو فعل ماض مبنى على الفتح، وفاعله مستتر تقديره (هو)، ونصرك مفعول به منصوب، الكاف: ضمير متصل فى محل جر مضاف إليه، أعز: أيد، والجذر اللغوى (ع – ز – ز).
- الفعل القضوى: وهو يتمثل فى فعلي الإحالة والحمل.
- الإحالة: وهو الإحالة بالضمير المستتر ويعود هذا الضمير على الله عز وجل.
- الحمل: ويتمثل فى الحمولة الدلالية لقضية الدعاء لله عز وجل بالحمد الذى أعز وأيد الله به خليفة المسلمين معاوية بن أبى سفيان.
- الفعل الإنجازى: يتمثل هذا الفعل الإنجازى فى الجملة الخبرية اللفظ الإنشائية المعنى (الحمد لله الذى أعز نصرك) ويستمد الفعل الكلامى قوته الإنجازية من الخبر الذى عدل عن معناه وخرج لمعنى الإنشاء، وهو التوجه لله عز وجل بالدعاء، وحمده تعالى أن أيد ونصر وأعز معاوية.

(أعلا كعبك):

- الفعل الكلامى: أعلا.
- الفعل القولى: متمثل فى لفظ أعلا: وهو فعل ماض مبنى على الفتح، الفاعل ضمير مستتر، كعبك: كعب: مفعول به منصوب، والكاف ضمير متصل مبنى فى محل جر مضاف إليه، أعلا: معناها المعجمى: رفع مكانك وشرفك، الجذر اللغوى: (ع – ل – و). ويحمل المعنى القولى الظاهر معنى (المنزلة الرفيعة وسمو مكانته ورفعة شأنه).
- الفعل القضوى: فعل الإحالة: وهو الإحالة بالضمير المستتر وتقديره (هو) ويعود هذا الضمير على الذات الإلهية.
- فعل الحمل: ويتمثل فى الحمولة الدلالية لقضية رفعة الله عز وجل لمكانة معاوية.
- الفعل الإنجازى: يتمثل هذا الفعل فى الجملة الخبرية (أعلا كعبك)، ويستمد هذا الفعل قوته الإنجازيه من خروج الخبر عن معناه إلى معنى الإنشاء، وهو الدعاء لله عز وجل بعلو مكانه معاوية.

(فإنى والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم، ولا مسرة بولايتى، ولكنى جالدتكم بسيفى هذا مجالدة):

- الفعل الكلامى: ما وليتها.
- الفعل القولى: يتمثل هذا الفعل فى الجملة الفعلية المنفية، ولى: فعل ماضى مبنى على السكون لاتصاله بتاء الفاعل، تاء الفاعل ضمير متصل مبنى فى محل رفع فاعل، والهاء ضمير متصل مبنى فى محل نصب مفعول، وليتها: أى ولايته لأمور المسلمين، الجذر اللغوى: (و – ل – ى).
- الفعل القضوى: فعل الإحالة: وهو الإحالة فى الكلمات الآتية:

فإنى: الإحالة بالضمير المتصل (ياء المتكلم) ويعود على معاوية.
وليتها: الإحالة (بالتاء) وتعود على معاوية، والإحالة (بالهاء) وتعود على الخلافة.
علمتها: الإحالة (بالتاء) وتعود على معاوية، والإحالة بالهاء وتعود على كلمة المحبة.
منكم: الإحالة بالضمير المتصل وتعود على جمهود المتلقين.
بولايتى: الإحالة بضمير المتكلم وتعود على معاوية.

- فعل الحمل:وهو يتمثل فى الحمولة الدلالية لقضية يقين معاوية أن المسلمين من أهل المدينة لم يبايعوه بالولاية عن حب وفرح وسرور بولايته بل هو من حارب إلى أن وصل إلى هذه المكانة.
- الفعل الإنجازى: ويتمثل هذا الفعل فى الجملة الخبرية (فإنى والله ما وليتها بمحبة....)، ويستمد هذا الفعل الكلامى قوته الإنجازية من الخبر المؤكد بإن والقسم، وهذا الخبر الصادق يؤكده ما حدث من وقائع وأحداث قبل توليه خلافة المسلمين، فلم يبايعه المسلمون من ذوات أنفسهم، ولكن ما دفعهم إلى مبايعته إشهاره سيفه وأخذه لهم بالقوة، فهى جملة خبرية إنكارية مؤكدة بأكثر من أداة التوكيد (إن)، والقسم بلفظ الجلالة فهو بذلك يؤكد تمام التأكيد للمتلقين أن أمر الخلافة جاء بالكد والحرب وليس بالمحبة التى تظهرونها.

(ولكنى جالدتكم بسيفى هذا مجالدة).

- الفعل الكلامى: جالدتكم.
- الفعل القولى: متمثل فى الجملة الفعلية وما تحمله من معنى أولى ظاهر والفعل جالد: فعل ماض مبنى على السكون لاتصاله بتاء الفاعل، تاء الفاعل ضمير متصل مبنى فى محل رفع فاعل، والضمير المتصل مبنى فى محل جر مضاف إليه. جالدتكم أي حاربتكم بشدة وقوة، الجذر (ج – ل – د).
- الفعل القضوى: يتمثل فى فعل الإحالة، وهو الإحالة بالضمائر فى الكلمات الآتية:

لكنى: الإحالة بالضمير المتصل (ياء المتكلم) ويحيل إلى المتكلم نفسه (معاوية).
جالدتكم: الإحالة بالضمير المتصل (كم) ويحيل إلى المتلقين (أهل المدينة)، وكذلك الإحالة بالضمير المتصل (تاء الفاعل) وتحيل إلى المتكلم (معاوية).
بسيفى: الإحالة بالضمير المتصل (ياء المتكلم) ويحيل إلى المتكلم (معاوية).

- الفعل الإنجازى: يتمثل هذا الفعل فى الجملة الخبرية (ولكنى جالدتكم بسيفى هذا مجالدة)، ويستمد هذا الفعل قوته الإنجازية من خروج الخبر الذى يستدرك فيه ما سبق كى يرفع الوهم عن أهل المدينة بأنهم لم يبايعوه عن محبة وقناعة، بل هو الذى وصل إلى الخلافة بسيفه والتعبير بالمفعول المطلق يدل على التأكيد.

(ولقد رضت لكم نفسى عن عمل ابن قحافة)

- الفعل الكلامى: (رضت).
- الفعل القولى: رضت: فعل ماض مبنى على السكون، وتاء الفاعل ضمير متصل مبنى فى محل رفع فاعل، رضت أخضعت – ذللت، الجذر (ر – و – ض).
- الفعل القضوى: ويتمثل فى الإحالة فى الكلمات الآتية:

رضت: الإحالة بتاء الفاعل على معاوية.

لكم: الإحالة (بكم) على المتلقين (أهل المدينة).
نفسى: ياء المتكلم تحيل إلى معاوية.

- الحمل: تتمثل فى الحمولة الدلالية لقضية خضوع معاوية وتذليله نفسه للمسلمين كما كان يفعل خليفة المسلمين وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق.
- الفعل الإنجازى:يتمثل هذا الفعل فى الجملة الخبرية (ولقد رضت لكم نفس...) ويستمد هذا الفعل قوته الإنجازية من الخبر المؤكد باللام وقد، فهو ذلل نفسه لهم واتخذ من خليفة المسلمين الأول قدوة فى معاملته للمسلمين، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على لين الجانب والسهولة واليسر، فهذا خلق الصديق أبى بكر رضى الله عنه وتأكيد الفعل الماضى بأكثر من أداة إنما يدل على صدق الرجل ومدى استعداده، وتأهيله نفسه كى يكون هو الإمام وخليفة المسلمين.

(وأردتها على عمل عمر فنفرت من ذلك نفاراً شديداً):

- الفعل الكلامى: أردتها.
- الفعل القولى: يتمثل فى الجملة الفعلية المكونة من فعل وفاعل ومفعول ومكملات الجملة من جار ومجرور، والمقصود أردتها: أخضعت نفسى أن تشير فى الناس بحكم عمر بن الخطاب.
- الجذر اللغوى: (ر – و – د).
- الفعل القضوى ويتمثل فى فعل الإحالة، وهو الإحالة بالضمائر فى الكلمات الآتية:

أردتها: الإحالة (بالتاء) على المتكلم وهو معاوية، وكذلك الإحالة بالـ (الهاء) وتعود على كلمة (نفس).
فنفرت: الإحالة بالضمير المستتر وتقديره (هى) والإحالة على نفس معاوية.

- الحمل:يتمثل فى الحمولة الدلالية لقضية انتهاج نهج الخليفة عمر بن الخطاب وإرهاق معاويه نفسه باتباع منهج عمر فى الخلافة.
- الفعل الإنجازى: يتجسد هذا الفعل فى الجملة الخبرية (وأردتها على عمل عمر فنفرت من ذلك نفاراً..) ويستمد هذا الفعل قوته الإنجازية من الخبر الذى يحمل معنى المشقه وإرهاق النفس بما لا تطيق، فحينما أراد أن يسير بين المسلمين بمنهج الإمام والخليفة العادل عمر بن الخطاب رأى النفس قد نفرت من ذلك وذلك، لأن أحوال المسلمين تبدلت عن الحال التى كانت عليه زمن عمر بن الخطاب.

(وأردتها على سنيات عثمان فأبت على، فسلكت بها طريقاً لى ولكم فيه منفعة مؤاكلة حسنة ومشاربة جميلة):

- الأفعال الكلامية فى هذا المقام: أردتها – أبت – سلكت.
- الفعل القولى: أردتها: (جاء تحليلها فى الصفحه السابقة).

أبت: فعل ماضى مبنى على الفتح، والفاعل مستتر تقديره (هى).
معنى (أبت): رفضت – امتنعت، الجذر اللغوى (أ – ب – ى).
سلكت: فعل ماض مبنى على السكون، تاء الفاعل ضمير متصل مبنى فى محل رفع فاعل.
سلكت: انتهجت طريقاً، الجذر اللغوى (س – ل – ك).

- الفعل القضوى: فعل الإحالة: ويتمثل فى الإحالة على:

أردتها: التاء: تحيل إلى معاوية، الهاء: تحيل إلى النفس.
أبت: الإحالة بالضمير المستتر وتقديره (هى) على النفس.
فسلكت: الإحالة بالتاء إلى المتكلم (معاوية).
بها: الإحالة بالهاء على النفس.

لى: ياء المتكلم تحيل إلى المتكلم وهو (معاوية).
لكم: الإحالة بالضمير المتصل على أهل المدينة من المسلمين.

- الحمل: يتمثل فى الحمولة الدلالية لقضية رفض معاوية سنة عثمان بن عفان فى الخلافة وابتداعه لسنة جديدة فيها إرضاء للطرفين معاوية نفسه ومن يحكمهم من المسلمين، فهذا المنهج الجديد فيه نفع له وللمسلمين.
- الفعل الإنجازى: يتجسد هذا الفعل الكلامى فى الجملة الخبرية (وأردتها على سنيات...) ويستمد هذا الفعل قوته الإنجازية التي يسرد فيه للمتلقين الجهد الذى بذله وعاناه من أجلهم، ومن أجل إرضائهم، فسلك مسلك الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان فوجد أن فى ذلك مشقه كبيرة عليه، فانتهج نهجاً جديداً وطريقاً لم يسبقه إليه غيره، ورأى أن فى ذلك النفع والصلاح له وللأمة الإسلاميه التى سيحكمها ومن الملاحظ أن معاوية لم يذكر الخليفه الرابع (على بن أبى طالب) وذلك لكونه أنه غير مقتنع ولا راض عن ولايته منذ البداية، فكان معاوية يرى أنه أحق بولاية أمور المسلمين بعد مقتل عثمان.

(فإن لم تجدونى خيركم فإنى خير لكم ولاية):

- الفعل الكلامى: لم تجدونى.
- الفعل القولى: يتمثل هذا الفعل فى الجملة الفعلية (تجدونى)، والفعل (تجدوا) فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف النون، واو الجماعه: ضمير متصل مبنى فى محل رفع فاعل، وياء المتكلم ضمير متصل مبنى فى محل نصب مفعول به، لم تجدونى: لم ترونى الأفضل والأحسن، الجذر اللغوى (و – ج – د).
- الفعل القضوى: يتمثل فى فعل (الإحالة) وهو الإحالة بالضمائر فى الكلمات الآتية:

تجدونى: الإحالة بواو الجماعة، وتعود على أهل المدينة، والإحالة بياء المتكلم على معاوية.
خيركم: الإحالة بالضمير المتصل (كم) على أهل المدينة.
فإنى: الإحالة بياء المتكلم على معاوية.
لكم: الإحالة بالضمير المتصل على أهل المدينة.

- الحمل: يتمثل فى الحمولة الدلالية لقضية اقتناع معاوية بأنه لن يفضله أحد فى الولاية، فإن لم يكن الأفضل فى كل شيء فحسبه أنه الأفضل والأنفع لخلافة المسلمين.
- الفعل الإنجازى: يتجسد هذا الفعل فى الجملة الخبرية (فإن لم تجدونى...) ويستمد هذا الفعل الكلامى قوته الإنجازية من أسلوب الشرط باستخدام أداة الشرط (إن) وجاءت جملة فعل الشرط منفية فمعاوية ينفث عن نفسه أن يكون أفضل من فى المسلمين فى أمور كثيرة كالأمور الدينية والخلقية والدنيوية، وجاء فى جملة جواب الشرط، وهى جملة إسمية مؤكدة بإن، ومعنى ذلك أنه يريد أن يؤكد لجمهور الحضور والمتلقين له أنه أحق بالبيعة والولاية والخلافة لأنه أفضل من يستحق هذه المكانة، وهنا فى هذا السياق إعجاب وفخر من معاوية بنفسه، وفى هذا الموضوع تحديداً تتجلى قدرة المتكلم وإقناعه من حوله إنه شخص حاكم يستطيع أن يتولى مقاليد حكم المسلمين، وإدارة شئون الدولة الإسلامية.

(والله لا أحمل السيف على من لا سيف له)

- الفعل الكلامى: لا أحمل.
- الفعل القولى: أحمل فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة، السيف مفعول به، الفاعل ضمير مستتر تقديره أنا، معنى لا أحمل السيف: لا أعتدى على أحد ليس معه سلاح، والنفي يفيد هنا نفى حمل السلاح على الشخص المسالم، الجذر اللغوى (ح – م – ل).
- الفعل القضوى: يتمثل فى فعل (الإحالة) وهو الإحالة بالضمائر فى الكلمات الآتية:

أحمل: الإحالة بالضمير المستتر وتقديره (أنا) ويعود على معاوية.
له: الإحالة بالضمير المتصل (الهاء) وتعود على الشخص الذى لا يحمل السلاح.

- الحمل: يتمثل فعل الحمل فى الحمولة الدلالية لقسم معاوية وتأكيده عدم الإعتداء على غير المعتدين فهو يسالم من سالمه.
- الفعل الإنجازى: يقع هذا الفعل الكلامى فى الجملة الخبرية (والله لا أحمل السيف...)، يستمد هذا الفعل الكلامى قوته الإنجازية من الخبر المؤكد بالقسم وهذا الخبر يحمل معنى ظاهر، وآخر عميق، أما المعنى الظاهر: فهو تأكيده وقسمه للمخاطبين أنه لا يمكن حمل السلاح على العزل المسلمين، والمعنى الخفى المستنتج من هذا الفعل هو (التهديد والتخويف) فمعاوية يندد من ينوى حمل السلاح والإعتداء فسيكون جزاؤه بالمثل.

(وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفي به القائل، فقد جعلت ذلك دبر أذنى وتحت قدمى):

- الأفعال الكلامية: يستشفى – جعلت.
- الفعل القولى: يستشفى: فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة، الفاعل: القائل، معنى يستشفى به القائل: أى ما يقوله من كلم طيب، الجذر اللغوى (ش – ف – ى).
- الفعل الكلامى (جعلت): جعل: فعل ماض مبنى على السكون لاتصاله بتاء الفاعل، تاء الفاعل ضمير متصل مبنى فى محل رفع فاعل، والمقصود إننى لا أهتم بالكلام السيء المحبط
- الجذر اللغوى: (ج – ع – ل).
- الفعل القضوى: يتمثل فى الإحالة وتقع فى الكلمات الآتية:
منكم: كم ضمير متصل يحيل على أهل الكوفه.
يستشفى: الإحالة بالاسم الظاهر وهى كلمة (القائل).
جعلت: تاء الفاعل تحيل إلى المتكلم (معاوية).
أذنى: ياء المتكلم تحيل إلى المتكلم (معاوية) وكذلك كلمة (قدمى).
- فعل الحمل: يتمثل فى الحمولة الدلالية لقضية ترك الكلام غير المجدى، فمعاوية إن لم يسمع ممن هم على عهده وطاعته الكلام الحسن الطيب النافع، فلا يهتم لغير هذا الكلام.
- الفعل الإنجازى: امتثل هذا الفعل الكلامي فى الجملة الخبرية (وإن لم يكن منكم...) ويستمد هذا الفعل الكلامي قوته الإنجازي من معنى مباشر جاء هذا المعنى فى أسلوب الشرط وأسلوب القصر بالنفى والاستثناء، والقصر من مؤكدات الجمل، وجاء فعل الشرط منفياً، وهذا معناه أن معاوية أمير المؤمنين لا يريد من الكلام إلا ما تطيب به النفوس، أما المعنى غير المباشر فهو تحذير أهل المدينة من كثرة الكلام الذى لا يجدى ولا يثمر، فإن خليفة المسلمين لا يلقى لهذا الكلام بالاً، ويكون سبباً فى هلاك من قاله.

(فإن لم تجدونى أقوم بحقكم كله، فاقبلوا منى بعضه).

- الفعل الكلامى: لم تجدونى – فاقبلوا.
- الفعل الكلامى: تجدونى: فعل مضارع مجزوم بحذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، وواو الجماعة ضمير متصل مبنى فى محل رفع فاعل، وياء المتكلم ضمير متصل مبنى فى محل نصب مفعول به، تجدونى أقوم بحقكم: آخذ لكم الحق، الجذر: (و – ج – د).
- فاقبلوا: فعل أمر مبنى على حذف النون، واو الجماعة ضمير متصل مبنى فى محل رفع فاعل، اقبلوا: تقبلوه ولا تتضجروا، الجذر: (ق – ب – ل).
- الفعل القضوى: يتمثل فى فعل الإحالة فى الكلمات الآتية:
تجدونى: الإحالة بواو الجماعة على أهل المدينة، والإحالة بياء المتكلم على (معاوية).
بحقكم: الضمير المتصل (كم) يحيل إلى أهل المدينة.
كله: الهاء الإحالة بها على (الحق).

اقبلوا: بواو الجماعة على (أهل المدينة).
بعضه: الإحالة بالهاء على (الحق).

- الحمل: يتمثل فى الحمولة الدلالية لقضية تقبل المسلمين أخذ معاوية الحقوق كبيرها وصغيرها، كلها أو بعضها، فإن لم يستطع أخذ الحق لكافة الناس، فلن يقصر عن أخذ الحق لبعضهم من المستضعفين.
- الفعل الإنجازى: يتمثل الفعل الإنجازى فى جملة الشرط (وإن لم تجدونى أقوم بحقكم..) وهذا الفعل يستمد قوته الإنجازيه من جملتى الشرط، جملة فعل، وجملة جواب الشرط، فجملة فعل الشرط جاء الفعل فيها منفياً (لم تجدونى) ومعنى ذلك أنه ينفى عن نفسه استطاعته القيام بكامل حقوق القوم، ثم تأتى جملة جواب الشرط، وهى جملة إنشائية نوعها أمر، والأمر هنا من معاوية إلى أهل المدينة أى من الحاكم إلى المحكومين من الأعلى للأدنى ولكن عدل الأمر وخرج عن معناه الأصلى وهو الإلزام، إلى معنى آخر وهو الالتماس، فهو يريد منهم تقبل سياسته ومساعدته حتى يقوم على كل الأمور التى ستواجهه فهو الذى بدأ عهد جديد للدولة الإسلامية، ويريد أن يخرج من مرحلة الضعف والفتن والفساد التى تمر بها بلاد المسلمين إلى مرحلة توطيد دعائم الدولة واستقرارها.

(إياكم والفتنة):

- الفعل الكلامى: هو فعل كلامى مقدر (أحذركم) ولكنه محذوف ويفهم من السياق.
- الفعل القولى: إياكم والفتنة: إياكم مفعول به لفعل محذوف تقديره احذروا، والواو حرف عطف، الفتنة: مفعول به لفعل محذوف تقديره احذروا (احذركم).
- الفعل القضوى: المتمثل فى فعل الإحالة، وهو الإحالة بالضمير المستتر وتقديره (أنتم)، والمقصود به (أهل المدينة).
- أما فعل الحمل: فيتمثل فى الحمولة الدلالية لقضية التحذير.
- الفعل الإنجازى: يتمثل هذا الفعل فى الجملة الإنشائية (إياكم والفتنة)، ويستمد هذا الفعل الكلامى قوته الإنجازية من الإنشاء الصريح وهو الأمر، فإنه يلزمهم ويحذرهم من إتباع الفتن، فالله عز وجل حذرنا منها فى مواضع كثيرة فى كتابه العزيز فقال عز من قائل: (والفتنة أشد من القتل)، ففى هذا الأمر تحذير باللفظ الصريح (إياكم) فهو يريد من المسلمين عدم الخوض والسير وراء الفتن لأنها لا تجلب إلا شراً، وتفسد على الناس أحوالهم ومعيشتهم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة.

(فإنها تفسد المعيشة وتكدر النعمة)

- الفعل الكلامى: تفسد – تكدر.
- الفعل القولى: تفسد: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه بالضمة، الفاعل ضمير مستتر تقديره هى، معنى فساد المعيشة أى أنها يصيبها الخلل ويصبح فيها من الفساد والخراب ما يكدر على الناس حياتهم ومعيشتهم – الجذر اللغوى (ف – س – د).

تكدر: فعل مضارع مرفوع، الفاعل ضمير مستتر تقديره هى، النعمة: مفعول به منصوب، معنى تكدر: تفسد وتكون الحياة منغصة، ويصاب الناس بالهم والحزن.

- الفعل القضوى: ويتمثل فى الإحالة بالكلمات الآتية :

فإنها: الضمير المتصل (الهاء) يحيل على الفتن.
تفسد: الضمير المستتر وتقديره (هى) يحيل على الفتن وكذلك الضمير المستتر فى الفعل.
تكدر: يحيل على الفتن.

- الفعل الحملى: يتمثل فى الحمولة الدلالية لقضية تحذير أمير المؤمنين معاوية أهل المدينة من تجنب الفتن لأن مصائبها فساد الحياة، فثمار هذه الفتن لا يكون إلا دماراً وفساداً للنفوس أولاً وللمجتمع.

- الفعل الإنجازى: يتجسد هذا الفعل فى الجملة الخبرية، ويستمد هذا الخبر قوته الإنجازيه من الخبر المؤكد بإن، فالمتلقون لابد وأنهم على علم بما تحدثه الفتن والثمار التى تجنيها فيؤكد عليهم والى أمورهم وخليفتهم أن صدى هذه الفتن لا يكون إلا عواقب جسيمة فتذهب بالنعم وتمحوها وتعكر صفو الحياة.

الخاتمة

تعد الأفعال الكلامية من المفاهيم التداولية التي تحتل موقعا متميزا، وتعد هي الأساس الذي تقوم عليها التداوليات، ولقد وعي علماء التراث العربي بمفهوم الأفعال الكلامية، وضمنوها أبحاثهم، ولكنهم لم يفردوا لها دراسات مستقلة، وإنما تشابهت قضايا الخبر والإنشاء مع مفهوم الأفعال الكلامية، من حيث مراعاة أحوال المتكلمين، كالملقي والمتلقي، والسياق ، وقرائن الأحوال، وأن الكلام قد يخرج عن ظاهر لفظه ويتضمن معاني أخرى، والأفعال الكلامية لم تعرف بهذا المصطلح إلا حديثا على يد الفيلسوف اللغوي (جون أوستين) وكانت هذه هي مرحلة التأسيس والنشأة، ثم تلتها مرحلة النضج والاكتمال على يد (جون سيرل)، ولقد قمت بتطبيق مفهوم الأفعال الكلامية على خطبة لمعاوية بن أبي سفيان، فبدى ثراء هذا النص وتكشفت المعاني، عندما طبقت هذا المفهوم الحديث في قراء النص، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها غير هذا البحث :

- إدراك العلماء العرب للمفاهيم والنظريات الحديثة، ولكنهم لم يفردوا لها مباحث مستقلة.
- لم تعرف الأفعال الكلامية بمسماها هذا إلا حديثا.
- يعد رائد الأفعال الكلامية هو(جون أوستن)، ولكن من قام على تطوير النظرية إلى أن أخذت هذا الشكل المكتمل هو الفيلسوف(جون سيرل).
- إن تطبيق هذا المفهوم الحديث على نص من نصوص التراث العربي ألبسها ثوبا جديدا وكشف لنا عن الكثير من المعاني .

ثبت بالمصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢.

٣- الاستلزام الحوارى في التداول اللسانى من الوعى بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، العياشى أدراوى، دار الأمان ، الرباط ، ط ١، ٢٠١١.

٤- تاريخ الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، ج٥، دار المعارف، ط٢.

٥- التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٥.

٦- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن ريبولو جالك موشلار، ترجمة د/ سيف الدين دغفوس وآخرون، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ٢٠٠٣، ط١.

٧- تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق/ سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٩، الأجزاء: الأول والثالث والسابع.

٨- سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين الذهبى، مؤسسة الرسالة، ط ١١، ١٩٩٦، صـ ١٣٦، ١١٥تاريخ الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، أبى جعفر محمـد بن جرير الطبرى، ج٥، دار المعارف، ط٢.

٩- الصاحبى فى فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، للإمام أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، علق عليه/ أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٧.

١٠- العقد الفريد، للفقيه محمد بن عبد ربه الأندلسي(ت٣٢٨) تحقيق/ مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٨٣.ج٢.

١١- علم المعانى، د/ عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، ط١،٢٠٠٩.

١٢- في البرجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، علي محمود حجي الصراف، مكنبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠،ط١.

١٣- الكامل فى التاريخ، محمـد بن محمـد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى، المعروف بابن الأثير، ج٣، دار الكتب العلميه بيروت – لبنان

١٤- مفتاح العلوم، للإمام سراج الملة والدين أبي يعقوب يوسف بن أبي بكرمحمد بن علي السكاكي،ت (٦٢٦)، ضيط هوامشه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٨٧.

١٥- المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، تر/ سعيد علوش، مركز الإنماء القومي.

١٦- النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط١، ٢٠١٤.

١٧- نظرية أفعال الكلام بين فلاسفة اللغة المعاصريين والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم الطبطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤.

١٨- نظرية أفعال الكلام العامة، أوستين، ترجمة عبد القادر قنينى، أفريقيا الشرق.